الْبَابُ الرَّابِعُ

تَحْلِيْلُ الْعَنَاصِرِ الدَّاخِلِيَّةِ فِيْ قِصَّةِ " عُصْفُوْرٌ مِنَ الشَّرْقِ"

الْفَصْلُ الأَوَّلُ : لَمْحَةٌ مِنْ قِصَّةِ "عُصْفُوْرٌ مِنَ الشَّرْقِ" لِتَوْفِيْقِ الْحَكِيْمِ.

هَذِهِ الْقِصَّةُ تُحْكَى أَنَّ مُحْسِنَ الشَّابَ الْمِصْرِيَّ قَدْ ذَهَبَ إِلَى فَرَنْسَا لِيُتِمَّ دِرَاسَتَهُ, وَ هُنَاكَ أَقَامَ مَعَ أُسْرَةٍ كَادِحَةٍ, يَحْصِلُ أَفْرَادُهَا عَلَى قُوَّتِهِمْ بِالْجُهْدِ, حَتَّى يَلْتَهِمُ الْعَمَلُ وَقْتَهُمْ وَ رَاحَتَهُمْ وَ لاَ يَبْقَى فِيْ الْبَيْتِ إِلاَّ الْجَدَّةَ الْعَجُوْزَ, وَ الطِّفْلَ الصَّغِيْرَ الَّذِي تَلْقِنُهُ جَدَّتُهُ كَرَاهِيَةَ الأَلْحَانِ, وَ تَدْرِبَهُ عَلَى بَعْضِ اللَّعْبِ, وَ هِيَ أَدَوَاتُ حَرْبٍ مُصَغِّرَةٍ, وَ تَصَادَقَ مُحْسِنُ وَ أَنْدَرِيْه-الاِبْنُ الشَّابُ لْهَذِهِ الأُسْرَةِ-, وَ الَّذِيْ يَبْدُو الْفِرَقَ وَاضِحاً بَيْنَ كُلٍّ مِنَ الشَّابَيْنِ فِيْ أُمُوْرِ الْحَيَاةِ. فَمُحْسِنُ يَمِيْلُ إِلَى الْمِثَالِيَةِ وَ يَتَعَلَّقُ بِالرُّوْحِيَةِ وَ يَجْنَحُ إِلَى الْخَيَالِ, أَمَّا أَنْدَرِيْه فَيُؤْمِنُ بِالوَاقِعِيَةِ وَ يَحْيَا عَلَى الْمَادِّيَةِ. وَ يَعْتَبِرُ الْخَيَالَ نَوْعاً مِنَ الْوَهْمِ.

وَ يَعْجِبُ مُحْسِنُ بِفَتَاةٍ فَرَنْسِيَةٍ تَعْمَلُ فِيْ شَبَاكِ التَّذَاكِرِ بِأَحَدِ الْمَسَارِحِ, وَ يَكْتَفِي مِنَ الْمُتْعَةِ بِهَا بِأَنْ يَجْلِسَ عَلَى مَقْهَى قَرِيْبٌ مِنْ مَكَانِ عَمَلِهَا يَتَأَمَّلُهَا فِيْ إِجْلاَلٍ, وَ يُسَبِّحُ بِجَمَالِهَا فِيْ خَيَالِهِ, وَ كَأَنَّهُ عَابِدٌ أَمَامَ مِحْرَابٍ, فَيَسْخَرُ مِنْهُ أَنْدَرِيْه حِيْنَ يَعْلَمُ ذَلِكَ, وَ يُغْرِيْهِ بِالاِتِّصَالِ بِهَا فِيْ جُرْأَةٍ, فَيَتْرُكُ مُحْسِنُ مَنْزِلَ

أُسْرَةِ أَنْدَرِيْه وَ يَسْتَأْجِرُ حُجْرَةً فِيْ الْفُنْدُقِ الَّذِي تَسْكُنُ فِيْهِ تِلْكَ الْفَتَاةُ, وَ يَنْتَهِى الأَمْرُ بِالتَّعَارُفِ, ثُمَّ يُهْدِيُهَا بِبَغَاءِ وَ يُسْمِيْهِ بِاسْمِهِ, وَ تَزُوْرُهُ فِيْ حُجْرَتِهِ, وَ يَقْرَأُ لِهَا بَعْضَ الأَشْعَارِ الَّتِيْ تُعَبِّرُ عَنِ الحُبِّ وَ الْهِيَامِ, فَتَقْتَرِبُ مِنْهُ أَثْنَاءَ الْقِرَاءَةِ, وَتَقَعُ بَيْنَ أَحْضَانِهِ وَ يَعْلَمُ أَنْدَرِيْه بِذَلِكَ فَيُؤَكِّدُ لِصَاحِبِهِ الشَّرْقِى مُحْسِنُ نَجَاحَ سِيَاسَةِ الْوَاقِعِيَّةِ وَ سَخِفَ الْخَيَالاَت وَ الأَحْلاَم. وَ يُنَدِّدُ بِالْمِثَالِيَةِ الَّتِيْ يَتَشَبَّتْ بِهَا مُحْسِنُ, فِيْ حِيْنٍ أَنَّ مُحْسِنَ قَدْ أَحَسَّ بِهَذِهِ الْعَلاَقَةِ الَّتِيْ ظَلَّتْ أُسْبُعَيْنِ مَعَ فَتَاتِهِ, أَنَّهُ قَدْ هَبَطَ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ.

وَ ذَاتَ يَوْمٍ أَثْنَاءَ تَنَاوُلِهِمَا الطَّعَامَ دَخَلَ عَلَيْهِمَا شَابٌّ وَسِيْمٌ نَظَرَ إِلَى "سُوْزَى" وَ نَظَرَتْ إِلَيْهِ, وَ عَرَفَ مُحْسِنُ أَنَّهُ فَتَى سُوْزَى الَّذِيْ كَانَتْ عَلَى خِصَامٍ مَعَهُ فَيَدْفَعُ مُحْسِنُ الْحِسَابَ, وَ مَضَى وَحِيْداً وَ هُوَ يَكَادُ يَجْنِ, وَ حَاوَلَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَطْرُقَ حُجْرَتَهَا, فَلَمْ تَسْمَحُ لَهُ بِالدُّخُوْلِ. وَ هُنَا أَرْسَلَ رِسَالَةً حَزِيْنَةً إِلَيْهَا يُخْبِرُهَا فِيْهَا بِآلاَمِهِ وَ جَرْحَ كِبْرِيَائِهِ, وِ اكْتِشَافِهِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ إِلاَّ لُعْبَةَ تَتَسَلَّى بِهِ فِيْ فَتْرَةِ فَرَاغِهَا, وَ اِبْتِعَادِ فَتَاهَا عَنْهَا, وَ قَدْ رَدَّتْ سُوْزَى بِخِطَابٍ لَمْ تُنْكِرْ فِيْهِ شَيئاً مِنْ ذَلِكَ, وَ لَكِنَّهَا تَحَاوَلَ محو هَذَيْنِ الأُسْبُوْعَيْنِ مِنْ تَارِيْخِ حَيَاتِهَا.

وَ تَرَكَ مُحْسِنُ الْفُنْدُقَ وَ لَجَأَ إِلَى مَنْزِلِ مُتَوَاضِعٍ يَقْطِنُ فِيْهِ صَدِيْقٍ عَجُوْزٍ مَرِيْضٍ هُوَ "إِيْفَانُوْفِيْتْس" كَانَ قَدْ تَعْرِفُ عَلَيْهِ فِيْ مَطْعَمٍ, وَ دَارَ بَيْنَهُمَا نِقَاشٌ حَوْلَ الْمَادِّيَةِ الَّتِيْ حَلَّ بِهَا الْغَرْبُ مُشْكِلاَتَ الإِنْسَانِ الاِقْتِصَادِيَةِ, وَ حَوْلَ الْحُلُوْلَ الرُّوْحِيَةَ الَّتِيْ حَلَّ بِهَا الشَّرْقُ تِلْكَ الْمُشْكِلاَتَ, وَ بَدَأَ مُحْسِنُ مِنْ جَدِيْدٍ يَصْعَدُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا إِلَى مِثَالِيَتِهِ السَّابِقَةِ, وَ بَدَأَ إِيْفَانُوْفِيْتْسْ يَفِيْضُ لِمُحْسِنِ مِنْ جَدِيْدٍ فِيْ إِفْلاَسِ الْحَضَارَةِ الْغَرْبِيَةِ, وَ ثَرَاءِ الْحَضَارَةِ الشَّرْقِيَّةِ. وِ أَنَّهَا هِيَ الْخَلاَصُ الْوَحِيْدُ لِمَنْ يُرِيْدُ الْخَلاَصَ, ثُمَّ طَلَبَ إِيْفَانُوْفِيْتْسْ مِنْ مُحْسِنِ أَنْ يَرْحِلاَ مَعاً إِلَى الشَّرْقِ لأَنَّهُ الْمَكَانُ الْجَدِيْرُ بِأَنْ يَعِيْشَ فِيْهِ الإِنْسَانُ, وَ لَكِنْ مُحْسِنُ رَدَّ, عَنْ ذَلِكَ قَائِلاً: (إِنَّ الشَّرْقَ لَمْ يَعِدْ هُوَ الشَّرْقُ الَّذِيْ كَانَ بِالأَمْسِ فَقَدْ طَغَتْ عَلَيْهِ كَثِيْرٌ مِنْ أَدْوَاءِ الْغَرْبِ الَّذِيْ يَضْفَى بِهَا وَ هُوَ مَخْدُوْعٌ عَنْ نَفْسِهِ) وَ اِنْتَهَى اللِّقَاءُ بِأَنْ يَذْهَبْ مُحْسِنُ إِلَى الشَّرْقِ وَ يَحْمِلُ مَعَهُ ذِكْرَى صَاحِبِهِ إِلَى هَذِهِ الْبِلاَدِ الْحَبِيْبَةِ.

الْفَصْلُ الثَّانِيُّ : الْعَنَاصِرُ الدَّاخِلِيَّةُ فِيْ قِصَّةِ "عُصْفُوْرٌ مِنْ الشَّرْقِ" لِتَوْفِيْقِ الْحَكِيْمِ.

أ- مَوْضُوْعُ الْقِصَّةِ

الْمَوْضُوْعُ هُوَ جُزْءٌ مِنْ الْقِصَّةِ, بَلْ هُوَ رُوْحُهَا. لأَنَّهُ فِكْرَةُ الْمُؤَلِّفِ فِيْ بِنَاءِ وَ تَصْوِيْرِ الْقِصَّةِ. و بَعْدَ أَنْ قَرَأَ وَ حَلَّلَ الْبَاحِثُ قِصَّةَ "عُصْفُوْرٌ مِنْ الشَّرْقِ"

وُجِدَتْ فِيْهَا مَسَائِلٌ مَتَنَوِّعَةٌ فِيْ الْمَوْضُوْعِ. وَ قَالَ Frans Mido بِأَنَّ الْمَوْضُوْعَ يُنْقَسَمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: الْمَوْضُوْعُ الأَسَاسِيُّ وَ الْمَوْضُوْعُ الثَّانَوِيُّ.

أَمَّا الْمَوْضُوْعُ الأَسَاسِيُّ فِيْ هَذِهِ الْقِصَّةِ فَهُوَ الْمُشْكِلَةُ بَيْنَ الشَّرْقِ وَ الْغَرْبِ اَوْ الْمُشْكِلَةُ بَيْنَ رُوْحَانِيَّةُ الشَّرْقِ وَ مَادِّيَّةُ الْغَرْبِ. وَ قَدْ عَرَضَ تَوْفِيْقُ الْحَكِيْمُ تِلْكَ الْمُشْكِلَةَ فِيْ هَذِهِ الْقِصَّةِ وَ نَقَدَ النُّظُمَ الْغَرْبِيَّةِ بِعَيْنِ الشَّرْقِ, فَصَوَّرَ لَنَا مِصْرِيًّا فِيْ عَهْدِ الشَّبَابِ اِسْمُهُ مُحْسِنُ يَعِيْشُ فِيْ قَلْبِ الْعَاصِمَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ يَغْشَى الْكَنِيْسَةَ, فَيَؤْخُذُ بِرَوْعَةِ الْخُشُوْعِ وَ الصَّلاَةِ, وَ يَعْجِبُ كَيْفَ يَدْخُلُ الأَوْرَبِيُّوْنَ الْكَنِيْسَةَ كَمَا يَدْخُلُوْنَ الْمَقْهَى دُوْنَ إِعْدَادٍ خَاصٍّ. هَذَا كَمَا وُرِدَ فِيْ الْحِوَارِ بَيْنَ مُحْسِنِ وَ أَنْدَرِيْهِ: "فَإِبْتَسَمَ أَنْدَرِيْه وَ قَالَ: أَيُّهَا الْعُصْفُوْرُ الشَّرْقِيُّ!..تُعِدُّ نَفْسَكَ لِدُخُوْلِ الْكَنِيْسَةِ مَا مَعْنَى هَذَا ؟..إِنَّا نَدْخُلُهَا كَمَا نَدْخُلُ الْقَهْوَةَ..أَىِّ فَرْقٍ ؟؟..هُنَاكَ مَحَلٌّ عَامٌ, وَ هُنَا مَحَلٌّ عَامٌ..هُنَاكَ الأَرْغَانُ, وَ هُنَا الأُوْكِسْتَرَا!.."[1]

وَ أَمَّا الْمَوْضُوْعُ الثَّانَوِيُّ فِيْ هَذِهِ الْقِصَّةِ فَهُوَ الْحُبُّ بَيْنَ مُحْسِنِ وَ سُوْزَانِ. وَ قَدْ أَحَبَّ مُحْسِنُ فَكَانَ فِيْ حُبِّهِ عَلَى أَشَدِّ مَا يَكُوْنُ حَيَاءُ الشَّرْقِيُّ وَ خَيَالُهُ, حَتَّى إِذَا أَحْفَقَ فِيْ حُبِّهِ أَوْ غَرَرَتْ بِهِ مَنْ يُحِبُّ أَخَذَ يَجْتَرُّ أَلَمُهُ, وَ اِنْقَلَبَ سَاخِطًا

[1] . توفيق الحكيم, عصفور من الشرق, دار مصر للطباعة: مصر. ص. 22

لاً عَلَى نَفْسِهِ وَ إِنَّمَا عَلَى الْغَرْبِ وَ مَادِّيَتِهِ, وَ لَعَلَّ هَذَا الإِخْفَاقُ فِيْ الْحُبِّ قَدْ جَعَلَ مِنْ مُحْسِنِ عَدُوًّا لِلْمَرْأَةِ فِيْمَا بَعْدِ.

ب- خَلْفِيَّاتُ الْقِصَّةِ

بَعْدَ أَنْ بَحِثَ الْبَاحِثُ عَنْ مَوْضُوْعِ الْقِصَّةِ "عُصْفُوْرٌ مِنْ الشَّرْقِ" وَصَلَ الآنَ إِلَى خَلْفِيَّةِ الْقِصَّةِ. يَجِبُ عَلَى أَيَّةِ قِصَّةٍ أَنْ تَقَعُ فِيْ مَكَانٍ وَ زَمَانٍ مُعَيَّنَانِ وَ نَعْنِى بِهَذَيْنِ خَلْفِيَاتَ الْقِصَّةِ. وَ هُنَاكَ أَشْيَاءٌ أُخْرَى يَجِبُ اِهْتِمَامُهَا مِثْلُ الْعَادَاتِ وَ الشَّخْصِيَّاتِ وَ التَّقَالِيْدِ الْمَوْجُوْدَةِ الَّتِيْ عَاشَ فِيْهَا الْكَاتِبِ اَوِ الأَدِيْبِ.

1. مَكَانُ الْقِصَّةِ

الْمَقْطُوْعَاتُ الْلآتِيَةُ مِنَ الْقِصَّةِ تَدُلُّ عَلَى مَكَانِ الْقِصَّةِ "عُصْفُوْرُ مِنَ الشَّرْقِ":

- وَلَمْ يَنْتَظِرْ الْفَرَنْسِيُّ جَوَاباً مِنْ صَاحِبِهِ, بَلْ جَذَّبَهُ إِلَى مِظَلَّةِ الْقَهْوَةِ "الرِّيْجَانْسِ" الْقَرِيْبَةِ.[2]

- وَ نَزَلَ بِهِ (مُحْسِنُ) إِلَى إِحْدَى مَحَطَّاتِ الْمِتْرُو.[3]

[2] . توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 12
[3] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 15

- دَقَّتْ نَوَاقِيْشُ كَنِيْشَةِ "سَانْ جِرْمَانِ" اِحْتِفَالاً بِاسْتِقْبَالِ الْجِثْمَانِ.[4]

- دَخَلَ مُحْسِنُ الْكَنِيْسَةِ, وَ لَمْ يَكُنْ قَدْ دَخَلَ كَنِيْسَةَ قَطُّ.[5]

- جَلَسَ (مُحْسِنُ) وَ صَاحِبُهُ (أَنْدَرِيْه) فِيْ قَهْوَةِ (الدُّوْمِ) بِحَيِّ (مونبارناس).[6]

- جَلَسَ مُحْسِنُ كَعَادَتِهِ كُلَّ صَبَاحٍ إِلَى مَائِدَةِ الْمَطْبَخِ, فِيْ الْمَنْزِلِ الَّذِيْ يَقْطِنُهُ.[7]

- وَ حَانَ الْوَقْتُ, وَ دَخَلَ مُحْسِنُ الأُوْبَرَا.[8]

- فَأَلْفَى السُّكُوْنَ قَدْ هَبَطَ عَلَى هَذَا الْمَنْزِلِ الرِّيْفِى الصَّغِيْرِ.[9]

- مَنْزِلُكُمْ خَاوِ الآنَ, وَ لَيْسَ بِهِ أَحَدٌ ... أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ أَبَاكَ وَ أُمُّكَ لاَ يَرْجِعَانِ مِنْ الْمَصْنَعِ قَبْلَ الْغُرُوْبِ ! ..[10]

- إِنَّهُ لَنْ يَنْسَى قَطُّ صُوْرَةَ أَبِيْهِ الشَّاحِبَةِ حِيْنَ دَخَلَ الْبَيْتَ–ذَاتَ مَسَاءٍ– مُضْطَرِبًا, مُتَأَثِّرًا.

- فَأَسْرَعَتْ الْمَرْأَةُ إِلَى قَاعَةِ الأَكْلِ.

---

[4] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 15
[5] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 16
[6] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 17
[7] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 18
[8] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 29
[9] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 31
[10] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 32

- وَ دَخَلَ الرَّجُلُ الْمَطْبَخَ, وَ نَشَرَ مِظَلَّةَ فِيْ يَدِهِ بَلَّلَهَا مَاءُ الْمَطَرِ.

- "عُصْفُوْرٌ مِنْ الشَّرْقِ" صَعَدَ إِلَى حُجْرَتِهِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ, كَيْ يَضَعُ كِتَابَهُ وَ يَتَهَيَّأُ لِلْغَدَاءِ.

- إِنَّهُ فِيْ حُجْرَتِهِ..جَالَسَ إِلَى مَكْتَبِهِ, وَ طَالَمَا يُفَاجِئُهُ الْمَسَاءُ, وَ هُوَ أَمَامَ كِتَابِهِ بِلاَ حَرَاكٌ.[11]

- اِجْتَمَعَ الْكُلُّ حَوْلَ الْمَائِدَةِ.[12]

- لَبِثَ مُحْسِنُ فِيْ مَجْلِسِهِ مِنْ الْمَقْهَى الَّذِيْ أَمَامَ الأَوْدِيُوْنَ.[13]

- فَأَسْرَعَ خَلْفَهَا وَ هُوَ كَالْخَائِفِ, إِلَى أَنْ بَلَغَتْ سُلَّمَ الْمِتْرُو الأَرْضِى, فَنَزَلَتْ إِلَى الْمَحَطَّةِ .

- وَ وَقَفَتْ السَّيَّارَةُ بِبَابِ الْفُنْدُوْقِ وَ أَنْزَلَتْ الأَمتِعَةَ, وَ قَادَتْهُ الْمُدِيْرَةُ إِلَى الْحُجْرَةِ رَقْمِ 48 فِيْ الطَّابِقِ الْخَامِسِ.[14]

---

[11] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 42
[12] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 43
[13] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 56
[14] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 71

وَ مِنْ هَذِهِ الْمَنْقُوْلاَتِ وَجَدَ الْبَاحِثُ خَلْفِيَّاتَ الْقِصَّةِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَكَانِ.

فَلِذَالِكَ مَكَانُ الْقِصَّةِ فِيْ هَذِهِ الْقِصَّةِ كَمَا يَلِى:

1. الْمَقْهَى
2. مَحَطَّةُ الْمِتْرُوْ
3. الْكَنِيْسَةُ
4. قَهْوَةُ (الدُّوْمِ)
5. الْمَنْزِلُ
6. الأُوْبَرَا
7. الْفُنْدُوْقُ

2. زَمَانُ الْقِصَّةِ

الْمَقْطُوْعَةُ التَّالِيَةُ تَدُلُّ عَلَى زَمَانِ الْقِصَّةِ "عُصْفُوْرٌ مِنَ الشَّرْقِ" وَ مِنْهَا وجدت الزَّمَان الَّتِيْ فِيْهَا تَوَاقِعُ الْحَدَثِ:

- "مَطَرٌ غَزِيْرٌ, قَدْ أَلْجَأَ النَّاسُ إِلَى مِظَلاَّتِ الْمَشَارِبِ وَ الْحَوَانِيْتَ, وَ إِلَى الْحَيْطَانِ وَ أَفَارِيْزِ الْبُيُوْتَ وَ مَدَاخِلِ الْمِتْرُو..."[15]

- كَانَ الْجَوُّ خَانِقًا عَصْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ, وَ رَطْبًا ثَقِيْلاً.[16]

- كَانَ الْوَقْتُ لاَ يَزَالُ لَيْلاً.[17]

- لَيْلَةُ الأَمْسِ فِيْ الأُوْبَرَا.[18]

- لَيْلَةٌ جَمِيْلَةٌ عَجِيْبَةٌ لاَ يَنْسَاهَا مُحْسِنُ فَقَدْ رَأَى فِيْهَا مَا لَمْ يَرَ مِنْ قَبْلُ, وَ سَمِعَ مَا لَمْ يَسْمَعْ.[19]

- كَانَتْ لَيْلَةٌ أَحَسَّ فِيْهَا الْحَرَجُ وَ الْمُذِلَّةُ.[20]

- إِنَّهُ لَنْ يَنْسَى قَطُّ صُوْرَةَ أَبِيْهِ الشَّاحِبَةِ حِيْنَ دَخَلَ الْبَيْتَ–ذَاتَ مَسَاءٍ– مُضْطَرِبًا, مُتَأَثِّرًا.[21]

- سَيَحْضِرُوْنَ هَذَا الْمَسَاءَ فِيْ السَّاعَةِ السَّابِعَةِ لِلْعَشَاءِ.[22]

---

[15] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 1
[16] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 19
[17] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 20
[18] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 23
[19] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 29
[20] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 31
[21] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 33
[22] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 36

- دَقَّتِ السَّاعَةُ الْوَاحِدَةُ فِيْ مَصَانِعِ "كوربفوا" الْقَرِيْبَةِ.[23]

- دَقَّتِ السَّاعَةُ الْعَاشِرَةُ, فَأَقْبَلَ شَبَاكُ التَّذَاكُرِ, وَ خَرَجَتْ الْفَاتِنَةُ تَتَهَادَى.[24]

- وَ فِيْ صَبَاحِ الْغَدِّ نَهَضَ مُحْسِنُ مُبَكِّراً, وَ فَتَحَ حَقَائِبَهُ.[25]

- نَامَ مُحْسِنُ لَيْلَتَهُ الأُوْلَى فِيْ ذَلِكَ الْمَقَرِّ الْجَدِيْدِ نَوْمًا ثَقِيْلاً.[26]

- وَ لَكِنَّهُ فِيْ هَذَا الصَّبَاحِ نَهَضَ قَبْلَ السَّادِسَةِ وَثْبًا مِنْ فِرَاشِهِ عَلَى صَوْتٍ فَاتِنٍ, يَغْنِيْ كَأَنَّهُ طَائِرٌ جَمِيْلٌ هَذِهِ الأُغْنِيَّةَ الْمَشْهُوْرَةَ فِيْ رِوَايَةِ كَارْمِنْ.[27]

- مَا أَجْمَلَ هَذَا الصَّبَاحِ ! لَقَدْ اِسْتَيْقَظْتُ عَلَى أُغْنِيَّةِ "كارمن" تَتَصَاعَدُ مِنْ نَافِذَةٍ تَحْتَ نَافِذَتِيْ.[28]

- قَضَى مُحْسِنُ بَقِيَّةَ الصَّبَاحِ جَالِساً عَلَى مَقْعَدٍ فِيْ حَدِيْقَةِ "لُوْكُسِمْبِرج" سَارِحًا فِيْ أَحْلاَمِهِ الْكَثِيْرَةِ.[29]

---

[23] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 37
[24] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 67
[25] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 69
[26] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 71
[27] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 72
[28] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 75
[29] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 78

وَ مِنْ هَذِهِ الْمَنْقُوْلاَتِ وَجَدَ الْبَاحِثُ خَلْفِيَّاتَ الْقِصَّةِ مِنْ نَاحِيَةِ الزَّمَانِ.

فَلِذَالِكَ زَمَانُ الْقِصَّةِ فِيْ هَذِهِ الْقِصَّةِ كَمَا يَلِى:

1. لَيْلَةٌ
2. صَبَاحٌ
3. مَسَاءٌ

ت- شَخْصِيَاتُ الْقِصَّةِ

الشَّخْصِيَاتُ فِيْ الإِنْتَاجِ الْقَصَصِ مِنْ حَيْثُ دَوْرِهِ يُنْقَسَمُ إِلَى قِسْمَيْنِ, يَعْنِى الشَّخْصِيَةُ الأَسَاسِيَةُ (Central Character) وَ الشَّخْصِيَةُ الثَّانَوِيَةُ (Peripheral Character).

كَانَ الشَّخْصِيَةُ الأَسَاسِيَةُ فِيْ هَذِهِ الْقِصَّةِ هِيَ مُحْسِنُ وَ أَنْدَرِيْه و سُوْزَى.

وَ أَمَّا شَخْصِيَّتُهُمْ سَتَأْتِيْ كَمَا يَلِى:

أ- مُحْسِنُ: هُوَ الشَّابُ الْمِصْرِيُّ قَدْ ذَهَبَ إِلَى فَرَنْسَا لِيُتِمَّ دِرَاسَتَهُ. وَ هُنَاكَ أَقَامَ مَعَ أُسْرَةٍ كَادِحَةٍ. وَ يُعْجِبُ مُحْسِنُ بِفَتَاةٍ فَرَنْسِيَةٍ الَّتِيْ تَعْمَلُ فِيْ شُبَّاكِ التَّذَاكِرِ بِأَحَدِ الْمَسَارِحِ. وَ هُوَ يُحِبُّهَا وَ يَكْتَفِي بِالْمُتْعَةِ بِهَا بِأَنْ يَجْلِسَ عَلَى مَقْهَى قَرِيْبٍ مِنْ مَكَانِ عَمَلِهَا وَ يَتَأَمَّلُهَا فِيْ إِجْلاَلٍ.

ب-أَنْدَرِيْه: صَدِيْقُ مُحْسِنِ الَّذِيْ يَعْمَلُ فِيْ الْمَصْنَعِ ثَمَانِيَ سَاعَاتٍ فِيْ الْيَوْمِ, وَ يَشْعُرُ إِنَّهُ عَبْدٌ وَرَقٌ, لَهُ زَوْجَةٌ اِسْمُهَا جَرْمَيْنْ.

ت-سُوْزَى: الْفَتَاةُ الْفَرَنْسِيَّةُ الَّتِيْ أَحَبَّهَا مُحْسِنُ, وَ هِيَ عَامِلَةٌ فِيْ شُبَّاكِ التَذَاكِرِ.

وَ كَانَ الشَّخْصِيَّةُ الثَّانَوِيَّةُ فِيْ هَذِهِ الْقِصَّةِ هِيَ :

أ- جَدٌّ: أَبُ أَنْدَرِيْه.

ب- جَدَّةٌ: أُمُّ أَنْدَرِيْه.

ت- جِرْمَيْنِ: زَوْجَةُ أَنْدَرِيْه.

ث- مَرْسِيْلُ: أَخُ أَنْدَرِيْه.

ج- جَانُوْ: اِبْنُ أَنْدَرِيْه.

ح- إِيْفَانُوْفِسْقِي: صَدِيْقُ مُحْسِنُ.

ث- حَبْكَةُ الْقِصَّةِ

كُلُّ رِوَايَةٍ ذَاتُ جَوُّ الْقِصَّةِ اَوْ الْحَبْكَةِ جِسْمِيًّا كَانَ اَوْ نَفْسِيًّا. كَمَا فِيْ بَحْثِ النَّظَرِيْ إِنَّ الْحَبْكَةِ هِيَ التَّرْكِيْبُ الَّذِي يَكُوْنُ الْقَارِئُ أَنْ يَعْلَمَ صِفَةَ الحَادِثَةِ بِالْمَنْطِقِي وَ بِالتَّسَلْسُلِ حَسْبَ التَّقْوِيْمِ وَ بِالتَّرَابُطِ يُسَبِّبُ تَجْرِيَّةُ الأَشْخَاصِ. إِنَّ فِيْ كِتَابَةِ الْقِصَّةِ طُرُقُ الَّتِيْ اِسْتَخْدَمَهَا الْمُؤَلِّفُ لِلتَّصْوِيْرِ خَطَطِيَّةِ الْقِصَّةِ. اَمَّا الطُّرُقُ الْمُسْتَخْدِمَةُ فِيْ هَذِهِ الْقِصَّةِ هِيَ طَرِيْقَةُ التَّسَلْسُلِ (Kronologis) وَ الإِرْتِجَاعُ الْفَنِّيْ (Flash Back).

1. الْمُتَسَلْسِلُ

الْمَقَاطِعُ التَّالِيَةُ مِنَ الْقِصَّةِ تَدُلُّ عَلَى مُتَسَلْسِلِ الْقِصَّةِ:

- "وَ فَرَغَ الْفَتَى مِنْ تَأَمُّلِ النَّافُوْرَةِ, فَغَدَرَهَا إِلَى جَانِبٍ آخَرٍ مِنْ الْمَيْدَانِ, يَقُوْمُ فِيْهِ تِمْثَالُ الشَّاعِرِ دِىْ مُوْسِيْه وَ هُوَ يَسْتَوْحِى عَرُوْسَ الشِّعْرِ..فَوَقَفَ الْفَتَى يَنْظُرُ إِلَيْهِ – وَ قَدْ نَقَشَ عَلَى قَاعِدَتِه: ((لاَ شَيْءٌ يَجْعَلُنَا عُظَمَاءَ غَيْرُ أَلَمٍ عَظِيْمٍ!..)) ثُمَّ تَطْلَعُ إِلَى وَجْهِ الشَّاعِرِ, فَأَلْفَى قَطْرَاتُ الْمَطَرِ تَتَسَاقَطُ مِنْ عَيْنَيْهِ كَالْعَبْرَاتِ, فَتَحَرَّكَ قَلْبُهُ, وَ

سَكَتَ فَمَّهُ !..ثُمَّ هَمَسَ مُرَدَّدًا كَالْمُخَاطَبِ لِنَفْسِهِ: ((لاَ شَيْءٌ يَجْعَلُنَا عُظَمَاءَ غَيْرُ أَلَمٍ عَظِيْمٍ ! .. نَعَمْ !..))[30]

بَعْدَ تِلْكَ الْحَادِثَةِ الْمُرَتَّبَةِ, تَتَّبِعُهَا بِالْحَادِثَةِ بَعْدَهُ, حَتَّى يَتَصَوَّرَ الْمُؤَلِّفُ عَنْ إِلْتِقَاءِ الْبَطَلِ الأَوَّلِ فِيْ هَذِهِ الْقِصَّةِ وَ هُوَ مُحْسِنُ بِصَدِيْقِهِ أَنْدَرِيْه.

- "وَ غَرَقَتْ فِيْ التَّفْكِيْرِ, وَ غَرَقَتْ قُبْعَتُهُ فِيْ الْمَاءِ, حَتَّى فَاضَ فَسَالَ عَلَى وَجْهِهِ .. وَ إِذَا صَوْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ يَصِيْحُ بِهِ: ((أُرَاهِنْ, بِمِائَةِ فَرَنْكَ, أَنَّ لاَ مَخْلُوْقٌ يَقِفُ هَكَذَا أَمَامَ هَذَا التِّمْثَالِ إِلاَّ أَنْتَ ! ..)) فَإِسْتَدَارَ الْفَتَى سَرِيْعًا: ((أَنْدَرِيْه ؟!)) قَبْلَ كُلِّ كَلاَمٍ, اَنْجِ بِيْ وَ بِنَفْسِكَ مِنْ هَذَا الْمَطَرِ ؛ لَيْسَ هَذَا وَقْتُ النَّظَرِ إِلَى التِّمْثَالِ!.."[31]

- "وَ دَمْدَمَ الطِّفْلُ وَ تَبْرُمُ فِيْ صَوْتٍ كَالْبُكَاءِ, ثُمَّ مَشَى فِيْ بُطْءٍ إِلَى حَيْثُ يَجْلِسُ مُحْسِنُ, وَ جَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ, ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى الْكِتَابِ الْمَفْتُوْحِ فَوْقَ الْمَائِدَةِ, وَ طَفَقَ يَقْلُبُ صَفْحَاتَهُ بَاحِثًا عَنْ صُوْرَةٍ فِيْهِ, وَ لَمْ يَتَحَرَّكْ مُحْسِنُ؛ فَقَدْ كَانَ عَقْلُهُ مَشْغُوْلاً, وَنَظْرَاتُهُ جَامِدَةً, لاَ تَتَّجِهُ إِلَى شَيْءٍ بِعَيْنِهِ؛ إِنَّمَا كَانَ يَتَسَاءَلُ فِيْ أَعْمَاقِ نَفْسِهِ.."[32]

---

[30] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 1
[31] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 2
[32] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 32

وَ الْمَقْطَعُ التَّالِيُّ مِنْ الْقِصَّةِ يُصَوِّرُ عَنْ مَجِيْءِ الْجَدِّ:

- "دَقَّتْ السَّاعَةُ الْوَاحِدَةُ فِيْ مَصَانِعِ كُوْرَبفُوْا الْقَرِيْبَةِ, فَأَسْرَعَتْ الْمَرْأَةُ إِلَى قَاعَةِ الأَكْلِ وَ جَعَلَتْ تَهَيَّءَ مَائِدَةَ الْغَدَاءِ, وَ سَمِعَ صَرِيْرَ مِفْتَاحٍ فِيْ الْبَابِ الْخَارِجِى,ثُمَّ بَدَا فِيْ الدَّارِ شَيْخٌ, مَا كَادَ جَانُوْ يَسْمَعُ صَوْتَ نَعْلِهِ وَ سُعَالِهِ, حَتَّى اِنْطَلَقَ نَحْوَهُ يَجْرِى وَ يَصِيْحُ: ((جَدِّيْ حَضَرْ..! جَدِّيْ حَضَرْ..!)) وَ دَخَلَ الرَّجُلُ الْمَطْبَخَ, وَ نَشَرَ مِظَلَّةَ فِيْ يَدِهِ بَلَّلَهَا مَاءُ الْمَطَرِ, وَ مَدَّ يَدَيْهِ إِلَى النَّارِ, وَ هُوَ يُحَادِثُ زَوْجَهُ فِيْ شُئُوْنِ الْمَعَاشِ بِعَبْرَاتٍ يَقْطَعُهَا سُعَالٌ عَنِيْفٌ .. وَ أَصْغَتْ إِلَيْهِ الْمَرْأَةُ حَتَّى فَرَغَ مِنْ حَدِيْثِهِ .."[33]

ثُمَّ هَذَا الْمَقْطَعُ مِنْ الْقِصَّةِ تُحْكَى عَنْ اِسْتِيْقَاضِ مُحْسِنِ مِنْ النَّوْمِ إِسْتِمَاعًا صَوْتًا جَمِيْلاً. وَ هُوَ صَوْتُ الْمَرْأَةِ يُنَادِى اِسْمَ "مُحْسِنِ":

- "فَتَحَ مُحْسِنُ عَيْنَيْهِ فِيْ الصَّبَاحِ, عَلَى شِبْهِ صَوتِ مَلاَئِكِيْ يُنَادِى اِسْمَهُ!..أَتَرَاهُ صَوْتًا آتِيًا مِنْ السَّمَاءِ ؟ .. وَ لَكِنْ النِّدَاءَ تُكَرِّرُ وَاضِحًا عُذْبًا, فَوَثَبَ الْفَتَى مِنْ فِرَاشِهِ وَ أَصْغَى, ثُمَّ اِبْتَسَمَ: إِنَّهُ آتٌ مِنْ النَّافِذَةِ السُّفْلَى..عَجَبًا ! .. إِنَّهَا سُوْزَى

[33] توفيق الحكيم, نفس المراجع, ص. 37

تَقُوْلُ فِيْ نُغْمَةٍ مُوْسِيْقِيَّةٍ: ((مُحْسِنْ !.. مُحْسِنْ !..)) فَأَسْرَعَ الْفَتَى إِلَى النَّافِذَةِ كَالْمَجْنُوْنِ.."

وَ هَذَا التَّصْوِيْرُ تُحْكَى عَنْ

- "اِنْتَظَرَ مُحْسِنُ الْفَتَاةَ إِلَى أَنْ جَاءَتْ, وَ ذَهَبَا إِلَى بُوْكَارْدِى فَتَنَاوَلاَ الْعَشَاءَ, ثُمَّ خَرَجَا إِلَى الْجِرَانِ بُوْلِفَارْ, فَشَرِبَا الْقَهْوَةَ فِيْ أَحَدِ الْمَشَارِبِ, وَ دَقَّتْ السَّاعَةُ الْعَاشِرَةُ, فَنَهَضَتْ سُوْزَى طَالِبَةُ الْعَوْدَةِ إِلَى مَسْكَنِهَا .. عِنْدَ ذَاكَ فَقَطْ أَفَاقَ الْفَتَى وَ ثَابَ إِلَى رُشْدِهِ .. وَ أَحَسَّ فُجْأَةَ الْجُوْعِ؛ فَهُوَ لَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا فِيْ الْمَطْعَمِ, هُوَ الَّذِيْ كَانَ قَدْ دَخَلَهُ جَائِعًا, فَخَرَجَ مِنْهُ جَائِعًا دُوْنَ أَنْ يَشْعُرَ ! .. وَ هَلْ كَانَ فِيْ مَقْدُوْرِهِ, وَ هُوَ إِلَى جَانِبِهَا, أَنْ يُفَكِّرَ فِيْ أَكْلٍ أَوْ شُرْبٍ ؟! .. إِنَّ الْمَعِدَةَ لَتَنَامُ عِنْدَمَا تَسْتَيْقِظُ الرُّوْحُ ! "

2. الإِرْتِجَاعُ الْفَنِّى

الإِرْتِجَاعُ الْفَنِّى هُوَ أَنْ يَقُصَّ الْمُؤَلِّفُ عَنْ الشَّيْءِ الَّذِيْ قَدْ وَقَعَ فِيْ الْمَاضِيْ بِنَظْرَةِ الآنَ. وَ الْمَقَاطِعُ التَّالِيَّةُ مِنْ الْقِصَّةِ تَدُلُّ عَلَى الإِرْتِجَاعِ الْفَنِّى:

- "لَقَدْ تَذَكَّرَ حِلْمًا غَامِضًا رَآهُ اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَّةَ .. قَدْ يَكُوْنُ كَابِسًا..لاَ..لَمْ يَكُنْ بِالضَّبْطِ كَابُوْسًا ذَلِكَ لأَنَّهُ لَمْ يَرَ فِيْهِ شَيْئًا مُزْعِجًا, أَوْ شَيْئًا مُبَالِغًا فِيْهِ .. لَقَدْ كَانَتْ أَحْدَاثُهُ طَبِيْعِيَّةً, وَ مَنْطِقِيَّةً.."

وَ فِيْ هَذَا التَّصْوِيْرِ تَذَكَّرَ مُحْسِنُ عَنْ الْحِلْمِ الَّذِيْ رَآهُ اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ. يَعْنِى الْحِلْمُ بِجَرِيْمَةِ قَتْلِ.

- "لَقَدْ رَأَى مُحْسِنُ نَفْسَهُ مُتَّهِمًا بِجَرِيْمَةِ قَتْلِ, وَ رَأَى ضَحِيَّتَهُ رَجُلاً يَجْهَلُ اِسْمَهُ, وَ شَخْصِيَّتَهُ.."

- "إِنَّ مَنْظَرَ الدَّمِ كَانَ شَيْئًا غَيْرُ مُحْتَمِلٍ بِالنِّسْبَةِ لَهُ .. إِنَّهُ لَمْ يَنْسَ قَطُّ بَعْضَ أَيَّامِ الثَّوْرَةِ .. ثَوْرَةُ 1919"

وَ هَذَا الْحِلْمُ الْكَابِسُ تَأَثَّرَ بِحِبْرَتِهِ الْمَاضِيَّةِ يَعْنِى مَنْظَرُ الدَّمِ فِيْ أَيَّامِ الثَّوْرَةِ الَّتِيْ وَقَعَتْ سَنَةَ 1919. وَ فِيْ تِلْكَ الأَيَّامِ الثَّوْرِيَّةِ لَمْ يَبْلُغْ الْعِشْرِيْنَ مِنْ عُمْرِهِ. هَذَا كَمَا وُرِدَ فِيْ هَذَا التَّصْوِيْرِ:

- "لَمْ يَكُنْ قَدْ أَكْمَلَ بَعْدَ عَامِهِ الْعِشْرِيْنَ .. لَقَدْ كَانَ أَبُوْهُ الْمُسْتَشَارُ يُرِيْدُهُ مُحَامِيًا .. وَ كَانَ هُوَ يَرَى أَنَّ رَغْبَتَهُ كَانَتْ تَتَّجِهُ نَاحِيَّةَ الْفَنِّ, وَ الأَدَبِ .. وَ لِذَا كَانَتْ مُهِمَّتُهُ أَثْنَاءَ الثَّوْرَةِ تَأْلِيْفُ الأَغَانِيْ الْوَطَنِيَّةِ الَّتِيْ كَانَ يَلْجِئُهُ هُوَ بِنَفْسِهِ, وَ الَّتِيْ كَانَ يَغْنِيْهَا زُمَلاَؤُهُ - شَبَابُ الْقَاهِرَةِ – خَلْفَ قُطْبَانِ السِّجْنِ بِحَمَاسٍ .. لَمْ يَكُنْ يَحْمِلْ - فِيْ وَسْطِ الزِّحَامِ – غَيْرَ قَلْبٍ مُشْتَعِلٍ, وَ أَغَانِيَ وَطَنِيَةَ حَمَاسِيَةَ.."

- "وَ هُوَ يَصْغَى فِيْ أَعْمَاقِ نَفْسِهِ إِلَى أَنْغَامِ تِلْكَ الأُغْنِيَّةِ لَيْلَةَ أَنْشَدَهَا تِيْنُوْنَ فَلاَنْ الشَّهِيْرَةَ, فِيْ أَوْبَرَا بَارِيْسَ مُنْذُ شَهْرَيْنِ ... لَيْلَةٌ جَمِيْلَةٌ عَجِيْبَةٌ لاَ يَنْسَاهَا مُحْسِنُ, فَقَدْ رَأَى فِيْهَا مَا لَمْ يَرَ مِنْ قَبْلِ, وَ سَمِعَ مَا لَمْ يَسْمَعْ, وَ لَقَدْ أَرَادَ فِيْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَنْ يَتَشَبَّهُ – لأَوَّلِ مَرَّةٍ – بِالْمُوْسِرِيْنَ...."